ويبدو لي أنّ هذا الصّراع الفكريّ كان يدور خارج موضوع النّقاش؛ لأنّ النحاة، سواء أكانوا بصريين أم كوفيين، لجأوا إلى التبريرات العقلية التي أبعدتهم عن روح اللغة؛ لأنّ دراسة اللغة يجب أن تجري على اللغة نفسها، أي على أصوات اللغة، وليس على حروف اللغة المكتوبة.. فما العلاقة الصوتية بين «الهاء» وبين «التاء»؟ وقد اقترب من هذه النقطة رضي الدين الاستراباذي دون أن يمسك بطرف الخيط بشكل مباشر، عندما قال «وإنّما قلبت التاء هاء لأنّ في الهاء همساً ولیناً أكثر مما في التاء، فهو بحال الوقف الذي هو موضع الاستراحة أولى، **ولذلك تزاد الهاء في الوقف فيما ليس فيه — أعني هاء السكت — نحو: أنه، وهؤلاه**»[1].

لو تابع الاستراباذي هذه اللمعة الذكية التي رأت أن العرب يزيدون «الهاء» في الوقف فيما ليس مؤنثاً أساساً، وفيما لم يدخله مميز التأنيث، لأدرك أنّ القضية ليست قضية قلب التاء هاء، أو الهاء تاء، بل القضية قضية حذف التاء مطلقاً من النطق، وليس من الكتابة — ومن قال إنّ الكتابة صورة أمينة لرسم الصوت؟؟. —

وأمّا من يقول «أنه» بدل «أنا»، و «دفن البناه من

---

(١) الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: ٢ / ٢٨٩.